



ومن وصيته عليه السلام

للحسن بن علي عليه السلام ، كتبها إليه بـ «حاضرين» عند انصرافه من صفين
مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ، الْمُقَرَّرِ لِلزَّمَانِ الْمُدْبِرِ الْعُمَرِ، الْمُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ، الذَّامِ لِلدُّنْيَا، السَّاكِنِ مَسَاكِنَ
الْمَوْتَى، الظَّاعِنِ عَنْهَا غَدًا، إِلَى الْمَوْلُودِ الْمَوْمِلِ مَا لَا يُدْرِكُ، السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ
الْأَسْقَامِ رَهِينَةَ الْأَيَّامِ، وَرَمِيَّةِ صِ الْمَصَائِبِ، وَعَبْدِ الدُّنْيَا، وَتَاجِرِ الْعُرُورِ، وَغَرِيمِ الْمَنَايَا، وَأَسِيرِ
الْمَوْتِ، وَحَلِيفِ الْهُمُومِ، قَرِينِ الْأَحْزَانِ، وَنُصْبِ الْأَفَاتِ وَصَرِيحِ الشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ .
أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنَتْ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي، وَجُمُوحِ الدَّهْرِ عَلَيَّ، وَإِقْبَالِ الْآخِرَةِ إِلَيَّ، مَا
يَزَعُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ، وَالْأَهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِي غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ
نَفْسِي، فَصَدَفَنِي رَأْيِي، وَصَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ، وَصَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي فَأَفْضَى بِي إِلَى جِدِّ لَا يَكُونُ
فِيهِ لَعِبٌ، وَصِدْقٍ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ .

وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئًا لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي، وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ
أَتَانِي، فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي، فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا، مُسْتَظْهِرًا بِهَذَا أَنَا
بَقِيْتُ لَكَ أَوْ فَنَيْتُ .

فَأَيْ أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ - أَيْ بُنَى - وَلُزُومِ أَمْرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ، وَالْإِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ، وَأَيْ سَبَبِ أَوْثُقٍ مِنْ سَبَبِ بَيْنِكَ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ !

أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَتَوَرَّهُ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ وَبَصْرُهُ فَبِجَائِعِ الدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَأَعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَسِرِّ فِي دِيَارِهِمْ وَأَثَارِهِمْ، فَانظُرْ مَا فَعَلُوا عَمَّا اتَّقَلُّوا، وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا! فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ اتَّقَلُّوا عَنِ الْأَحِبَّةِ، وَحَلُّوا دَارَ الْعَرَبَةِ، وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ. فَاصْلِحْ مَثْوَاكَ، وَلَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ،

وَدَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لَا تَعْرِفُ، وَالْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلِّفْ، وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقِ إِذَا خِفْتَ ضَلَالَتَهُ، فَإِنَّ الْكُفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْأَهْوَالِ، وَأَمُرٌ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنُ مِنْ أَهْلِهِ، وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ، وَبَايُنْمَنْ فَعَلَهُ بِجَهْدِكَ، وَجَاهِدْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَلَا تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَأَنَّمِ، وَخُضِ الْعِمْرَاتِ إِلَى الْحَقِّ حَيْثُ كَانَ، وَتَفَقَّهُ فِي الدِّينِ، وَعَوِّدْ نَفْسَكَ الصَّبْرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ، وَنِعَمِ الْخُلُقِ التَّصَبُّرِ،

وَأَلْجِءْ نَفْسَكَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَى إِيَّاكَ، فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفٍ طَ حَرِيزٍ وَمَانِعٍ عَزِيزٍ، وَأَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ، فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحَرَمَانَ، وَأَكْثَرَ الْإِسْتِخَارَةَ وَتَفْهَمَ وَصِيَّتِي، وَلَا تَذْهَبَنَّ [عَنْكَجَ صَفْحًا فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ. وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَلَا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لَا يَحْفَتُّعِلْمُهُ .

أَيْ بُنَى، إِيَّيْ لَمَّا رَأَيْتَنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنًا وَرَأَيْتَنِي أَزْدَادُ وَهَنَا بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ، وَأُورِدْتُ خِصَالًا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أَفْضِيْطَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي، أَوْ أَنْ أَنْقُصَ فِي رَأْيِي كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وَفِتَنِ الدُّنْيَا، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ التَّفُورِنِطِ، وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أَلْقَى فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبْلَتُهُ، فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَفْسُو قَلْبَكَ، وَيَشْتَغَلَ لُبُّكَ، لِتَسْتَقْبَلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ

بُعَيْتَهُو تَجْرِبَتَهُ، فَتَكُونُ قَدْ كُفَيْتَ مَوْوَنَةَ الطَّلَبِ، وَعُوفِيَتْ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ، فَأَتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ، وَاسْتَبَاطِطَ لَكَ مَا رَبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ .

أَيُّ بُنَى، إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمْرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَحْبَابِهِمْ، وَسِرَّتُ فِي آثَارِهِمْ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوْلِيهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَةَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ، وَنَفَعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَتَهَا، تَوَخَّيْتُكَ جَمِيلَهُ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ، وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الْوَالِدَ الشَّفِيقَ، وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِمْ أَدَبِكَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمْرِ مُقْتَبِلُ الدَّهْرِ، ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ، وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ، وَأَنْ أُبْتَدِّكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَأْوِيلِهِ، وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، لَا أَجَاوِزُ ذَلِكَكَ إِلَى غَيْرِهِ .

ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبَسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَأَرَائِهِمْ مِثْلَ الَّذِي التَّبَسَّعَلَيْهِمْ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذَلِكَ عَلَى مَا كَرِهْتَ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِكَ إِلَيَّ أَمْرٍ لَا آمَنُ عَلَيْكَ بِهِ الْهَلَكَةَ وَرَجَوْتُ أَنْ يُوقِّكَ اللَّهُ فِيهِ لِرُشْدِكَ، وَأَنْ يَهْدِيكَ لِقَصْدِكَ، فَعَهَدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هَذِهِ. وَاعْلَمْ يَا بُنَى، أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللَّهِ، وَالْاِقْتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالْأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الْأَوْلُونَ مِنْ آبَائِكَ، وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدْعُوا أَنْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاطِرٌ، وَفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذَلِكَ إِلَى الْأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا، وَالْإِمْسَاكَ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا،

فَإِنَّ أَبْتَ نَفْسِكَ أَنْ تَقْبَلَ ذَلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا فَلْيَكُنْ طَلْبَكَ ذَلِكَ بِنَفْسِهِمْ وَتَعْلَمُ، لَا بِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ، وَعَلَقِ الْخُصُومَاتِ. وَأَبْدَأْ قَبْلَ نَظْرِكَ فِي ذَلِكَ بِالِاسْتِعَانَةِ بِإِلَهِكَ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيقِكَ، وَتَرَكَ كُلَّ شَائِبَةٍ أَوْ لَجْنَةٍ شُبُهَةٍ، أَوْ أَسْلَمْتِكَ إِلَى ضَلَالَةٍ .

فَإِذَا أُيْقِنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشِعَ، وَتَمَّ رَأْيُكَ وَاجْتَمَعَ، وَكَانَ هَمُّكَ فِي ذَلِكَ هَمًّا وَاحِدًا، فَانْظُرْ فِيمَا فَسَّرْتَ لَكَ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ، وَفَرَاغَ نَظْرِكَ وَفِكْرِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ

إِنَّمَا تَخْبِطُ الْعَشْوَاءَ وَتَتَوَرَّطُ زِعَ الظُّلْمَاءِ، وَلَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ حَبَطَ وَلَا مَنْ خَلَطَ، وَالْأَمْسَاكُ
عَنْ ذَلِكَ أُمْتَلُ

فَتَفَهَّمْ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِي، وَاعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الْحَيَاةِ، وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمِيتُ، وَأَنَّ
الْمُفْنِي هُوَ الْمُعِيدُ، وَأَنَّ الْمُبْتَلَى هُوَ الْمُعَافَى، وَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ إِلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا اللَّهُ
عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمَاءِ، وَالْإِبْتِلَاءِ، وَالْجَزَاءِ فِي الْمَعَادِ، أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لَا تَعْلَمُ،

فَإِنَّ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِكَ بِهِ، فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ جَاهِلًا ثُمَّ
عَلِمْتَ، وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ، وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ، وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ!
فَاعْتَصِمْ بِالذِّى خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ، وَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ، وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ، وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَدًا لَمْ يُبْنَى عَنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ كَمَا أُبْنَا عَنْهُ نَبِينًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَارْضَ بِهِ
رَائِدًا وَإِلَى النَّجَاةِ قَائِدًا، فَإِنِّي لَمْ أَلِكْ نَصِيحَةً وَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ - وَإِنْ اجْتَهَدْتَ -
مَبْلُغَ نَظْرِي لَكَ. وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ
وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَعْمَالَهُ وَصِفَاتِهِ، وَلَكِنَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ،
وَلَا يَزُولُ أَبَدًا وَلَمْ يَزَلْ، أَوَّلُ قَبْلِ الْأَشْيَاءِ بِلَا أَوْلِيَّةٍ، وَآخِرُ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِلَا نِهَائِيَّةٍ، عَظُمَ عَنَّا نَ
تَثَبَّتَ رَبُّوبِيَّتُهُ بِأَحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْبَصَرَ .

فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صَعْرِ حَظْرِهِ وَقِلَّةِ مَقْدَرَتِهِ، وَكَثْرَةِ
عَجْزِهِ، عَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ، فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ، وَالرَّهْبَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَالشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ
يَأْمُرْكَ إِلَّا بِحَسَنِ، وَلَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنْ قَبِيحٍ .

يَا بُنَيَّ، إِنِّي قَدْ أَتْبَأْتُكَ عِنَا الدُّنْيَا وَحَالَهَا، وَزَوَالَهَا وَإِنْقَالَهَا، وَأَتْبَأْتُكَ عَنِ الْآخِرَةِ وَمَا أَعَدَّ لِأَهْلِهَا
فِيهَا، وَضَرَبْتُ لَكُمَا الْأَمْثَالَ، لِتَعْتَبَرَ بِهَا، وَتَحْذَوْعَلَيْهَا .

إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفَرُوا نَبَا بِهِمْ مَنْزِلُ جَدِيدٍ فَأَمُوتُوا مِنْزِلًا خَصِيصًا وَجَنَابًا مَرِيعًا
فَاحْتَمَلُوا وَعَثَاءَ الطَّرِيقِ، وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَحُشُونَةَ السَّفَرِ، وَجُشُوبَةَ الْمَطْعَمِ، لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ،

وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لَشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلْمًا، وَلَا يَرَوْنَ نَفَقَةً مَعْرَمًا، وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وَأَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلِّهِمْ .

وَمَثَلٌ مِّنْ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ، فَنَبَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيدٍ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَلَا أَفْطَحَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ، إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ وَيَبْصِرُونَ إِلَيْهِ .

يَا بُنَيَّ، اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَاحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسِنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَفِيحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَفِيحُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وَإِنْ قُلَّ مَا تَعْلَمُ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ .

وَاعْلَمْ، أَنَّ الْأَعْجَابِضُدَّ الصَّوَابِ، وَأَفَّةَ الْأَلْبَابِ فَاسِعَ فِي كَدْحِكَ وَلَا تُكُنْ حَازِنًا لِغَيْرِكَ وَإِذَا أُتَتْ هُدَيْتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَحْشَعَ مَا تُكُونُ لِرَبِّكَ .

وَاعْلَمْ، أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقًا ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَأَنْتَ لَا غِنَى بِكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الْأَرْتِيَادِ وَقَدْرِ بِلَاغِكُمِنَ الزَّادِ، مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ، فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، فَيَكُونَنَّ ثِقْلٌ ذَلِكَ وَبَالًا عَلَيْكَ، وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيُؤَافِيكَ بِهِ غَدًا حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، فَاغْتَنِمْهُ وَحَمَلْهُ إِيَّاهُ، وَأَكْثِرْ مِنْ تَرْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ، وَاغْتَنِمْ مَنْ اسْتَفْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ، لِيَجْعَلَ قِضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرِكَ .

وَاعْلَمْ، أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةٌ كَوُودًا الْمُخْفَفُفِيهَا أَحْسَنُ حَالًا مِنَ الْمُثْقَلِكِ، وَالْمُبْطِئُ عَلَيْهَا أَفْبَحُ حَالًا مِنَ الْمُسْرِعِ، وَأَنَّ مَهْبِطَهَا بِكَ لَا مَحَالَةَ عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ، فَارْتَدِّلْ نَفْسَكَ قَبْلَ نُزُولِكَ، وَوَطِّئِ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ وَلَا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ

وَاعْلَمْ، أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أَدِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ، وَتَكْفَلَ لَكَ بِالْأَجَابَةِ، أَمْرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيكَ، وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ، وَلَمْ يُلْجِئِكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنَّقْمَةِ، [وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالْإِنَابَةِ، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ [بِكَ أَوْلَى]، وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ، وَلَمْ

يُنَاقِشُكَ بِالْجَرِيمَةِ، وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ، بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَنِ الذُّبِّ حَسَنَةً، وَحَسَبَ سَيِّئَكَ
وَاحِدَةً، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْرًا، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ، فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاكَ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ
نَجْوَاكَ فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ، وَأَبْتَشْتُهُدَاتِ نَفْسِكَ وَشَكْوَتِ إِلَيْهِ هُمُومِكَ، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبِكَ،
وَاسْتَعْنَيْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ، مِنْ زِيَادَةِ
الْأَعْمَارِ، وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ، وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ .

ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَدْنَى لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالِدُّعَاءِ
أَبْوَابَ نِعَمِهِ، وَاسْتَمْطَرْتَ شَايِبَ رَحْمَتِهِ، فَلَا يُفْطِنُكَجَكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ،
وَرَبَّمَا أُخْرَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةُ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ، وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْأَمِلِ، وَرَبَّمَا سَأَلْتَ
الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاهُ، وَأُوْتَيْتَ خَيْرًا مِنْهُ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ
قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَاكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيَتْهُ، فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتَكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ، وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ،
فَالْمَالُ لَا يَبْقَى لَكَ وَلَا تَبْقَى لَهُ .

وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا، وَلِلْفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ، وَلِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ، وَأَنَّكَ فِي مَنْزِلِ
قُلْعَةٍ وَدَارِ بُلْعَةٍ وَطَرِيقِ إِلَى الْآخِرَةِ، وَأَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لَا يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ، وَلَا بُدَّ أَنَّهُ
مُدْرِكُهُ، فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَى حَالِ سَيِّئَةٍ، قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا
بِالتَّوْبَةِ، فَيَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ. [ذكر الموت]

يَا بُنَيَّ، أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَذَكَرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَتُنْفِضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَأْتِيكَ وَقَدْ
أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ وَشَدَدْتَ لَهُ أَرْكَكَ وَلَا يَأْتِيكَ بَعْتَهُ فَيَبْهَرُكَ وَإِيَّاكَ أَنْ تَعْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ
أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وَتَكَالِبِهِمْ عَلَيْهَا، فَقَدْ تَبَّأَكَ اللَّهُ عَنْهَا، وَتَعَتَّلَكَ نَفْسَهَا، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا،
فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ يَهْرُبُعُضُهَا بَعْضًا، يَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا
صَغِيرَهَا، نَعْمُ مَعْقَلَةٌ وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ، قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا، رَكِبَتْ مَجْهُولَهَا سُرُوحَهَا بَوَادٍ وَعَثَّ لَيْسَ
لَهَا رَاعٍ يَقِيمُهَا، وَلَا مُسَيِّمٌ يَسِيْمُهَا، سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى، وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ

الهُدَى، فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا، وَغَرِقُوا فِي نِعْمَتِهَا، وَاتَّخَذُواهَا رَبًّا، فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا، وَسُوءَا مَا
وَرَاءَهَا. [الترفق في الطلب] يَدَا يُسْفِرُ الظَّلَامَ، كَأَنَّ قَدْ وَرَدَتْ الْأَطْعَانُ يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ !
وَاعْلَمْ، أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيئَتُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ واقِفًا، وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ
مُقِيمًا وَادِعًا

وَاعْلَمْ يَقِينًا، أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ، وَلَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ، وَأَنَّكَ فِي سَبِيلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، فَخَفِّضْنِي
الطَّلَبِ، وَأَجْمِلْنِي الْمُكْتَسَبِ، فَإِنَّهُ رَبُّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ،
وَلَا كُلُّ مُجْمَلٍ بِمَحْرُومٍ،

وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَبِيئَةٍ وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضًا
وَلَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا. وَمَا خَيْرٌ خَيْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ، وَيُسْرِلُ لَا يُنَالُ إِلَّا بِعُسْرٍ !
وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ، فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الْهَلَكَةِ وَإِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَّا يَكُونُ بَيْنَكَ بَيْنَ اللَّهِ ذُو نِعْمَةٍ
فَافْعَلْ، فَإِنَّكَ مُدْرِكُ قِسْمِكَ، وَآخِذُ سَهْمِكَ، وَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَكْرَمُ اعْظَمَ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ
خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ كُلُّ مِنْهُ. [وصايا شتى]

وَتَلَا فَيَكْخَنُ مَا فَرَطَمِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكَكَ مَا فَاتَمِنْ مَنْطِقِكَ، وَحِفْظُ مَا فِي الْوِعَاءِ بِشَدِّ
الْوِكَاءِ وَحِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدَيْ غَيْرِكَ، وَمَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنْ
الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ، وَالْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ، وَالْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ وَرَبُّ سَاعِ
فِي مَا يَصْرُهُ !

مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ، قَارِنِ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وَبَايِنِ أَهْلَ الشَّرِّ تَبَيَّنْ عَنْهُمْ، بِئْسَ
الطَّعَامُ الْحَرَامُ! وَظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ، إِذَا كَانَ الرَّفِيقُ خُرْقًا كَانَ الْخُرْقُ رِفْقًا، رَبِّمَا كَانَ
الدَّوَاءُ دَاءً، وَالدَّاءُ دَوَاءً، وَرَبِّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ، وَغَشَّ الْمُسْتَنْصَحُ وَإِيَّاكَ وَالِاتِّكَالَ عَلَى الْمُنَى
فَإِنَّهَا بَضَائِعُ التَّوَكُّي وَالْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ، وَخَيْرٌ مَا جَرَبْتَ مَا وَعَظْتَكَ،

بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غَصَّةً، لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ، وَلَا كُلُّ غَائِبٍ يُؤُوبُ، وَمِنْ الْفَسَادِ
إِضَاعَةُ الزَّادِ، وَمَفْسَدَةُ الْمَعَادِ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ، سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قَدَّرَ لَكَ، التَّاجِرُ مُحَاطِرٌ، وَرَبُّ

يَسِيرِ أُنْمَى مِنْ كَثِيرٍ! لَا خَيْرَ فِي مُعِينٍ مَهِينٍ وَلَا فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ سَاهِلِ الدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ
وَلَا تُخَاطِرُ بِشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرِ مِنْهُ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ احْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أُخِيكَ
عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى الصَّلَةِ وَعِنْدَ صُدُودِهَا نَعْلَى اللَّطْفِ وَالْمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهَا عَلَى الْبَدْلِ وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ
عَلَى الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللَّيْنِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ، حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ
عَلَيْكَ. وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ،

لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقًا فَتَعَادِي صَدِيقَكَ، وَامْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ، حَسَنَةً كَأَنَّكَ أُمُّ
قَبِيحَةٍ، وَتَجَرَّعِ الْعَيْظَ فَإِنِّي لَمْ أَرْ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً، وَلَا أَلَذَّ مَعْبَةً وَلِئَلِّمَنَّ غَالِظَكَ فَإِنَّهُ
يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ، وَخُذْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحْلَى الظَّفَرَيْنِ، وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أُخِيكَ
فَاسْتَبِقْ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَأَ لَهُ ذَلِكَ يَوْمًا مَا، وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْرًا فَصَدِّقْ ظَنَّهُ،
وَلَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أُخِيكَ اتِّكَالًا عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعَتْ حَقَّهُ،

وَلَا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى الْخَلْقِ بِكَ وَلَا تَرْعَبَنَّ فِيمَنْ زَهَدَ فِيكَ، وَلَا يَكُونَنَّ أَحْوَكَ أَقْوَى عَلَى
قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى صَلَّتِهِ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الْإِحْسَانِ، وَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ
ظُلْمٌ مَنْ ظَلَمَكَ، فَإِنَّهُ يَسْعَى فِي مَضْرَّتِهِ وَتَفْعِكَ، وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَهُ .

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ أَتَتْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ، مَا أَقْبَحَ
الْحُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَالْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى! إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ، مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ وَإِنْ جَزَعْتَ
عَلَى مَا تَفَلَّتَمَنَّ يَدَيْكَ، فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ .

اسْتَدِلَّ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ، فَإِنَّ الْأُمُورَ أَشْبَاهُ، وَلَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَا تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلَّا إِذَا
بَالَعَتْ فِي إِيْلَامِهِ، فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالْأَدَبِ، وَالْبَهَائِمَ لَا تَتَّعِظُ إِلَّا بِالضَّرْبِ. اطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ

الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ الْيَقِينِ، مَنْ تَرَكَ الْقَصْدَ جَارَ

وَالصَّاحِبِ مُنَاسِبٌ وَالصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ وَالهُوَى شَرِيكُ الْعَمَى، رَبٌّ بَعِيدٌ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ،
وَقَرِيبٌ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ، وَالْعَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ، مَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ، وَمَنْ اقْتَصَرَ
عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَى لَهُ، وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَمَنْ لَمْ يُبَالِكْ فَهُوَ

عَدُوُّكَ، قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِدْرَاكًا، إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلَاكًا، لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ، وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ، وَرَبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ، أَصَابَ الْأَعْمَى رُشْدَهُ .

أَحْرَ الشَّرِّ، فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ وَقَطَيْعَةَ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ الْعَاقِلِ، مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ حَاتَهُ، وَمَنْ أَعْظَمَهَا هَانَهُ، لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ، إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ. سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ .

إِيَّاكَ أَنْ تَذْكَرَ مِنَ الْكَلَامِ مَا يَكُونُ مُضْحِكًا، وَإِنْ حَكَيْتَ ذَلِكَ عَنَّا غَيْرِكَ. [الرأى فى المرأة] وَإِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ، فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ وَعَزْمُهُنَّ إِلَى وَهْنٍ وَأَكْفَفُ عَلِيَّهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَى عَلِيَّهِنَّ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لَا يُوْتَقُّ بِهِ عَلِيَّهِنَّ، وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ. وَلَا تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رِيحَانَةٌ، وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ وَلَا تَعْدُو لَا بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا، وَلَا تُطْمِعُهَا أَنْ تَشْفَعَ لِعَيْرِهَا. وَإِيَّاكَ وَالتَّعَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ غَيْرَةٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّقَمِ، وَالبَرِيئَةَ إِلَى الرِّيبِ .

وَاجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلًا تَأْخُذُهُ بِهِ، فَإِنَّهُ أُخْرَى أَلَّا يَتَوَكَّلُوا فِي خِدْمَتِكَ. وَأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ، فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ. [دعاء] أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ، وَأَسْأَلُهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي الْعَاجِلَةِ وَالْأَجَلَةِ، وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ

نامه ۳۱ نهج البلاغه

نامه حضرت امیرالمؤمنین علی ع

به فرزندش امام حسن ع

از وصایای امام علیه السلام به امام حسن مجتبی [۱] و [۲]

این نامه را امام از سرزمین «حاضرین» هنگام بازگشت از «صفین» به او نوشته است. (این نامه‌ای است) از پدری فانی، معترف به سختگیری زمان، که آفتاب عمرش رو به غروب است، و خواه ناخواه تسلیم گذشت دنیا است، هم او که در منزلگاه پیشینیان سکنی گرفته، و فردا از آن کوچ خواهد کرد. به فرزندی آرزومند، آرزومند چیزی که هرگز بدست نمی‌آید، و در راهی گام می‌نهد که دیگران در آن گام نهادند و هلاک شدند! به کسی که هدف بیماریها است، گروگان روزگار، در تیر رس مصائب، بنده دنیا، بازرگان غرور، بدهکار و اسیر مرگ، هم پیمان اندوهها، قرین غمها، آماج آفات و بلاها، مغلوب شهوات، و جانشین مردگان.

اما بعد! آگاهی من از پشت کردن دنیا و چیرگی روزگار، و روی آوردن آخرت به سویم، مرا از یاد غیر خودم باز داشته، و تمام اهتمامم را بسوی آخرت جلب کرده است، و از آنجا که به خویشتم مشغولم از غیر خودم روی برتافته‌ام. این وضع، هوا و هوسم را کنار زده، و نظر خالص و نهائی را برای من آشکار ساخته، لذا مرا به مرحله‌ای

رسانده که سراسر جدی است و شوخی در آن راه ندارد، و براستی و صداقتی کشانده که در آن دروغ نیست. و چون تو را جزئی از خود، بلکه همه خودم یافتم، آن چنانکه اگر ناراحتی بتو رسد به من رسیده، و اگر مرگ دامنت را بگیرد گویا دامن مرا گرفته، باین جهت اهتمام کار تو را اهتمام کار خود یافتم لذا این نامه را برای تو نوشتم تا تکیه گاه تو باشد، خواه من زنده باشم یا نباشم. پسرم! تو را به تقوا و التزام به فرمان خدا، آباد کردن قلب و روح با ذکر او، و چنگ زدن به ریسمان الهی توصیه می کنم، و چه وسیله ای می تواند مطمئن تر از رابطه ای که بین تو و خدا است - اگر به آن چنگ زنی - باشد؟!

قلبت را با موعظه و اندرز زنده کن، (و هوای نفست را) با زهد و بی اعتنائی بمیران، دل را با یقین نیرومند ساز! و با حکمت و دانش نورانی نما، و بایاد مرگ رام کن و آن را به اقرار به فناء دنیا و ادار، و با نشان دادن فجایع دنیا او را بصیر گردان! و از حملات روزگار و زشتیهای گردش شب و روز بر حذرش دار! اخبار گذشتگان را بر او عرضه نما! و آنچه را که به پیشینیان رسیده است یاد آوریش کن، در دیار و آثار مخروبه آنها گردش نما و درست بنگر آنها چه کرده اند، ببین از کجا منتقل شده اند و در کجا فرود آمده اند، خواهی دید از میان دوستان منتقل شده و به دیار غربت بار انداخته اند گویا طولی نکشد که تو هم یکی از آنها خواهی بود. (بنابر این) منزلگاه آینده خود را اصلاح کن، آخرتت را به دنیایت مفروش، و در مورد آنچه نمی دانی سخن مگو، در آنچه موظف نیستی کسی را مخاطب نساز و در راهی که ترس گمراهی در آن داری قدم مگذار! چه اینکه خود داری به هنگام بیم از گمراهی، بهتر از آن است که انسان خود را در مسیرهای خطرناک بیفکند.

امر به معروف کن تا خود اهل معروف باشی، با دست و زبانت منکرات را انکار نما، و از کسی که عمل بد انجام می دهد به سختی دوری گزین و در راه خدا تا سر حد توان تلاش کن، و هرگز سرزنش سرزنش گران تو را از تلاش در راه خدا باز ندارد. در

دریای شدائد و مشکلات در راه حق هر جا که باشد فرو رو، در دین تفقه کن! خویشان را بر استقامت در برابر مشکلات عادت ده که شکیبائی در راه حق از اخلاق نیک به شمار می‌رود، در تمام کارها خویشان را بخدا بسپار که خود رابه پناهگاهی مطمئن و نیرومند سپرده‌ای. بهنگام دعا با اخلاص پروردگارت را بخوان! که بخشش و حرمان بدست او است و همواره از خدا بخواه که آنچه خیر و نیک ست برایت پیش آورد، در وصیتم دقت کن و آن را سرسری مگیرچه اینکه بهترین گفته آنست که سودمند باشد.

آگاه باش! دانشی که نفع نبخشد در آن خیری نیست، و دانشی که سزاوار فراگرفتن نیست سود نمی‌بخشد.

پسرم! هنگامی که یافتم به سن پیری رسیده‌ام، و دیدم قوایم بسستی می‌گراید، باین وصیت مبادرت ورزیدم. و فرازهایی از آن را بتو گفتم، مبادا جلم فرا رسد در حالی که آنچه را در درون داشته‌ام بیان نکرده باشم، و پیش از آنکه در رایم نقصانی ایجاد شود همچنانکه در جسم بوجود آمده یا پیش از آنکه هوا و هوس و فتنه‌های دنیا بر تو هجوم آورد و همچون مرکبی سرکش‌گردی این سخنان را با تو بگویم، چرا که قلب جوان همچون زمین خالی است هر بذری در آن پاشیده شود می‌پذیرد بنابر این من در تعلیم و ادب تو پیش از آنکه قلبت سخت‌شود و عقل و فکرت بامور دیگر مشغول گردد مبادرت ورزیدم تا با تصمیم جدی به استقبال اموری بشتابی که اندیشمندان و اهل تجربه، زحمت آزمون آنرا کشیده‌اند و تو را از تلاش بیشتر بی‌نیاز ساخته‌اند، بنابر این آنچه از تجربیات آنها نصیب ما شده نصیب تو هم خواهد بود بلکه شاید پاره‌ای از آنچه بر ما مخفی مانده (باز گشت زمان) بر تو روشن گردد.

پسرم! درست است که من باندازه همه کسانی که پیش از من می‌زیسته‌اند عمر نکرده‌ام، اما در کردار آنها نظر افکندام و در اخبارشان تفکر نمودم و در آثار آنها یسیر و سیاحت پرداختم تا بدانجا که همانند یکی از آنها شدم، بلکه گویا در اثر آنچه

از تاریخ آنان بمن رسیده با همه آنها از اول تا آخر بوده‌ام. من قسمت زلال و مصفای زندگی آنان را از بخش کدر و تاریک باز شناختم و سود و زیانش را دانستم از میان تمام آنها قسمتهای مهم و برگزیده را برای خلاصه کردم و از بین همه آنها زیبایش را برای انتخاب نمودم و مجهولات آنرا از تو دور داشتم. لذا همانگونه که یک پدرمهربان بهترین نیکی‌ها را برای فرزندش می‌خواهد من نیز صلاح دیدم که ترا بدین صورت تربیت کنم. و همت خود را بر آن گماشتم، زیرا عمر تو رو به پیش است و روزگارت رو بجلو، دارای نیتی سالم و روحی با صفا. (چنین دیدم) که در آغاز کتاب خدا را همراه تفسیرش و قوانین اسلام و احکامش و حلال و حرام آنرا بتو تعلیم دهم. و اینهمه توجه را بتو کردم، آنگاه از این ترسیدم که آنچه بر مردم در اثر پیروی هوا و هوس و عقاید باطل مشتبه شده و در آن اختلاف نموده‌اند بر تونیز مشتبه گردد، بهمین دلیل روشن ساختن این قسمت هر چند چندان خوشایند تو نباشد پیش من محبوبتر از آن است که تو را تسلیم امری سازم که از هلاکت ایمن نباشم و امیدوارم خداوند تو را در طریق رشد و صلاحیت توفیق دهد، و به مقصودت رهبری کند، اینک این وصیتم را برای تو می‌فرستم:

پسر! بدان محبوب‌ترین چیزی که از میان گفته‌هایم در این وصیت نامه‌بان تمسک می‌جوئی، تقوا و پرهیزکاری است، اکتفا بآنچه خداوند بر تو فرض و واجب شمرده است، و نیز حرکت در راهی است که پدران در گذشته از آن راه رفته‌اند و صالحان خاندانت آن طریق را پیموده‌اند، زیرا همانگونه که تو درباره خویش نظر می‌کنی آنها نیز نظر افکندند، و همانگونه که تو برای صلاح خویش می‌اندیشی آنها نیز می‌اندیشیدند آنها پس از فکر و دقت باینجا رسیدند که آنچه را بخوبی شناخته‌اند بگیرند و آنچه را که مکلف نیستند رها سازند و اگر روحت از قبول این ابادارد که تا همانند آنها آگاهی نیابی اقدام نکنی می‌بایست از راه صحیح، این راه را بپوئی، نه اینکه خود را بشبهات بیفکنی و یا بدشمنیها تمسک جوئی. اما پیش از آنکه در طریق آگاهی در این

باره گام نهی از خداوندت استعانت بجوی و در توفیقت در این راه رغبت و میل نشانده! و هر گونه عاملی را که موجب خلل در افکارت می شود یا تو را در شبهه می افکند، یا تو را تسلیم گمراهی می سازد، رها ساز پس آنگاه که یقین کردی قلبت صفا یافته و در برابر حق خاضع شده، و نظرت تکامل یافته، و اراده ات تمرکز یافته در آنچه برایت تفسیر می کنم نظر افکن!

و اگر آنچه را در این زمینه دوست می داری برایت فراهم نشد، و فراغت خاطر، حاصل نکردی بدانکه در طریقی که ایمن از سقوط نیستی گام بر می داری و در دل تاریکیها قدم می زنی، چرا که آن کسی که در اشتباه یا در حال تحیر و تردید است طالب دین نیست، و در چنین موقعی امساک و خودداری از چنین راههایی بهتر است.

پسرم! در فهم وصیتم دقت نما! بدان مالک مرک همومالک حیات است، و آفریننده همان کسی است که می میراند و فانی کننده همواست که، جهان هستی را از نو نظام میبخشد. همان کسی که بیماری میدهد شفا نیز عطا می کند. و بدانکه دنیا پا برجا نمی ماند مگر بهمان گونه که خداوند آنرا قرار داده است گاه نعمت و گاه ابتلاء، و پاداش در رستاخیز، یا آنچه که او بخواهد و تو نمیدانی.

اگر درباره جهان و حوادثش مشکل و بغرنجی برای تو پیش آمد آن را برنادانی خود حمل کن زیرا تو در نخست جاهل و نادان آفریده شدی و سپس عالم و آگاه گردیدی، و چه بسیار است آنچه را که نمیدانی، و فکرت در آن سرگردان و چشمت در آن گمراه می گردد اما پس از مدتی آن را می بینی! بنابر این به آن کس که تو را آفریده، و روزیت داده و آنچه لازمه خلقتت بوده بتو بخشیده پناه ببر! و پرستش تو ویژه او باشد، میل و رغبت بسوی او، و تنها از او بترس.

پسرم! بدان هیچکس از خدا همچون پیامبر اسلام خبر نیاورده است. بنابر این رهبری او را بپذیر! و در طریق نجات و رستگاری، او را قائد خویش انتخاب کن! من از هیچ اندرزی درباره ات کوتاهی نکرده ام، و تو هر قدر هم کوشش کنی و

صلاح خویش را در نظر بگیری مصالح خود را آن اندازه که من درباره تو تشخیص داده‌ام تشخیص نخواهی داد!

پسرم! بدان اگر پروردگارت شریکی داشت رسولان او نیز بسوی تومی آمدند، آثار ملک و قدرتش را می‌دید، و افعال و صفاتش را می‌شناختی، اما او خداوندی است یکتا، همانگونه که خویش را توصیف کرده است.

هیچکس در ملک و مملکتش قادر به ضدیت با او نیست، هرگز ازین نخواهد رفت. و همواره بوده است، او سر سلسله‌ی هستی است بدون اینکه آغازی داشته باشد، و آخرین آنها است بدون اینکه پایانی برایش تصور شود، بزرگ مرتبه تر از آن است که ربوبیتش در احاطه فکر قرار گیرد. حال که این حقیقت را شناختی در عمل بکوش! آنچنانکه سزاوار مانندتوئی در کوچکی قدر منزلت و کمی قدرت و فزونی عجز و نیاز شدید به پروردگار است در راه طاعتش کوشش نما!، از عقوبتش ترسان باش! و از خشمش بیمناک! چرا که او تو را جز به نیکی امر نکرده، و جز از قبیح و زشتی باز نداشته است،

فرزندم! من تو را از دنیا و حالات آن و زوال و دگرگونیش آگاه ساختم، و از آخرت و آنچه برای اهلش در آن مهیا شده مطلع گردانیدم، و درباره هر دو برایت مثلها زدم، تا به وسیله آنها عبرت گیری، و در راه صحیح آن گام نهی!

کسانیکه دنیا را خوب آزموده‌اند، همانند مسافرانی هستند که در سرمنزلی بی آب و آبادی و پر مشقت که قابل ماندن نیست قرار گرفته، و قصد کوچ بسوی منزلی پر نعمت و به ناحیه‌ای که در آن آسایش و راحتی است نموده‌اند (اینها برای رسیدن به آن منزل) مشقتهای راه را متحمل شده‌اند، فراق دوستان را پذیرفته، سختی مسافرت و غذاهای ناگوار را با جان و دل قبول نموده‌اند، تا بخانه وسیع خویش و سر منزل قرار و آرامش خود گام نهند. از هیچکدام از این ناراحتیها و مشکلات در این راه احساس درد

و رنجی نمی‌کنند، هزینه‌های مصرف شده را غرامت نمی‌انگارند، و هیچ چیز برایشان محبوب‌تر از آن نیست که آنان را به منزلشان نزدیک و به محل آرامششان برساند. اما کسانی که به دنیا مغرور شده‌اند، همانند مسافرانی هستند که در منزلی پر نعمت قرار داشته، سپس به آنها اعلام می‌شود که باید بسوی منزلی خشک و خالی از نعمت حرکت کنند، نزد آنان هیچ چیز ناخوش آیندتر و ناراحت‌کننده‌تر از مفارقت آنچه در آن بوده‌اند و رکت بسوی ناراحتی‌هایی که باید تحمل کنند و در آن قرار گیرند، نیست!

پسرم! خویشتن را معیار و مقیاس قضاوت بین خود و دیگران بگیر! پس آنچه را که برای خود دوست می‌داری برای دیگران دوست دار، و آنچه را که برای خود نمی‌پسندی بر دیگران نیز مپسند ستم مکن! همانگونه که دوست نداری بتو ستم شود. نیکی کن، همانطور که دوست داری نسبت بتو نیکی کنند، برای خویشتن چیزی را زشت بدان که همان را برای دیگری قبیح می‌شماری، بهمان چیز برای مردم راضی باش که برای خود می‌پسندی آنچه نمی‌دانی مگو، اگر چه آنچه می‌دانی بسیار اندک است! و آنچه را که دوست نداری به تو بگویند به دیگران نیز مگو.

بدان که عجب و غرور، ضد صواب و راستی و آفت عقل است. نهایت کوشش و تلاش را در زندگی داشته باش! (و از آنچه به دست آورده‌ای انفاق کن) و برای دیگران اندوخته مکن!، و آن گاه که در راه راست هدایت یافتی، در برابر پروردگارت سخت خاضع و خاشع باش.

بدان! راهی بس طولانی و پر مشقت در پیش داری و نیز بدان در این راه از کوشش صحیح، تلاش فراوان، و اندازه‌گیری توشه و راحله به مقدار کافی بی‌نیاز نخواهی بود، و با توجه به اینکه باید در این راه سبکبار باشی، بیش از تاب و تحمل خود بار بر دوش مگیر! که سنگینی آن برای تو وبال خواهد بود و هر گاه نیازمندی را یافتی که می‌تواند زاد و توشه تو را تا رستخیز بر دوش گیرد و فردا که به آن نیازمند شوی بتو

پس دهد آنرا غنیمت بشمار و این زاد را بر دوش او بگذار، و اگر قدرت بر جمع آوری چنین زاد و توشه‌ای را داری هر چه بیشتر فراهم ساز و همراه او بفرست، چرا که ممکن است روزی در جستجوی چنین شخصی بر آئی ولی پیدایش نکنی. هنگامی که بی‌نیاز هستی اگر کسی قرض بخواهد غنیمت بشمار، تا در روز سختی و تنگدستی‌ات ادا نماید بدان که پیش روی تو گردنه‌هایی صعب العبور وجود دارد (که برای عبور از آنها) سبکباران حالشان به مراتب بهتر از سنگین باران است. و کندروان حالشان بسیار بدتر از سرعت کنندگان بدان که نزول تو سرانجام یا در بهشت است یا در دوزخ بنا بر این برای خویش پیش از رسیدن به آن جهان وسائلی مهیا ساز و منزل را پیش از آمدن آماده نما. زیرا «پس از مرگ عذر پذیرفته نمی‌شود» و راه بازگشتی بدنیا وجود ندارد.

بدان! همان کسی که گنجهای آسمانها و زمین در اختیار دارد بتو اجازه دعا و درخواست را داده است و اجابت آن را نیز تضمین نموده، بتو امر کرده که از او بخواهی تا بتو عطا کند و از او درخواست رحمت نمائی، تا رحمتش را بر تو فرو فرستد خداوند بین تو و خودش را کسی قرار نداده که حجاب و فاصله باشد و تورا مجبور نساخته که بشفیع و واسطه‌ای پناه ببری. و مانعت نشده که اگر کار خلافی نمودی توبه کنی در کیفر تو تعجیل ننموده و در انابه و بازگشت بر تو عیب نگرفته است. در آنجا که فضاحت و رسوائی سزاوار تو است، تو را رسوا نساخته و برای بازگشت و قبول توبه شرایط سنگینی قائل نشده است در جریمه با تو به مناقشه نپرداخته و تو را از رحمتش مایوس نساخته است بلکه بازگشت تو را از گناه حسنه و نیکی قرار داده، گناه و بدیت را یک، و نیکی را ده بحساب آورده است و در توبه و بازگشت و عذر خواهی را برویت گشوده است پس آنگاه که ندایش کنی بشنود، و آن زمان که با او نجوانمائی سخت را میداند، پس حاجت رابسوی او می‌بری، و آن چنانکه هستی در پیشگاه او خود را نشان می‌دهی.

هر گاه بخواهی با او درد دل می‌کنی و ناراحتی و مشکلاتت را در برابر او قرار می‌دهی از او در کارهای استعانت می‌جوئی، و از خزائن رحمتش چیزهایی را می‌خواهی که جز او کسی قادر باعطاء آن نیست:

مانند عمر بیشتر، تندرستی بدن، و وسعت روزی، بار دیگر تاکید می‌کنم که خداوند کلیدهای خزائنش را در دست تو قرار داده، زیرا بتو اجازه داده که از او در خواست کنی، بنابراین هر گاه خواستی، می‌توانی بوسیله دعا درهای نعمت خدا را بگشائی، و باران رحمت خدا را فرود آوری.

اما هرگز نباید از تاخیر در اجابت دعا مایوس گردی زیرا بخشش به اندازه نیت است گاه می‌شود که اجابت بتاخیر می‌افتد تا اجر و پاداش و عطای در خواست کننده بیشتر گردد و گاه میشود که در خواست می‌کنی اما اجابت نمی‌گردد درحالی‌که بهتر از آن بزودی، و یا در موعد مقرر بتو عنایت خواهد شد و یا اینکه بخاطر چیز بهتری این خواسته‌ات بر آورده نمی‌شود زیرا چه بسا چیزی را می‌خواهی که اگر بتو داده شود موجب هلاکت دین تو می‌شود. روی این اصل باید خواسته تو همیشه چیزی باشد که جمال و زیبائیش برایت باقی و وبال و بدیش از تو رخت بر بندد، مال برای تو باقی نمی‌ماند و تو نیز برای آن باقی نخواهی ماند.

پسرم! بدان تو برای آخرت آفریده شده‌ای نه برای دنیا! برای فنا نه بقای در این جهان! برای مرگ نه برای زندگی! (و بدان) که تو در منزلی قرار داری که هر آن ممکن است از آن کوچ کنی، در منزلی که باید زاد و توشه از آن برگیری تو در طریق آخرتی، تو طرید مرگی، همان مرگی که هرگز فرار کننده از آن نجات نمی‌یابد. و از دست جوینده‌اش بیرون نمی‌رود و سرانجام او را می‌گیرد. بنابراین این از مرگ بر حذر باش! نکند زمانی تو را بچنگ آورد که در حال بدی باشی، و تو بیشتر با خود می‌گفتی که از این حال توبه خواهی کرد اما او میان تو و توبه‌ات حائل می‌گردد و اینجا است که تو خویشتن را بهلاکت انداخته‌ای.

یاد مرگ پسر! بسیار بیاد مرگ باش و به یاد آنچه بسوی آن می‌روی، و پس از مرگ در آن قرار میگیری تا اینکه هنگامی که مرگ بنزد تو آید تو خود را از هر جهت مهیا کرده باشی. نیروی خویش را تقویت، و دامن همت بر کمر زده و آماده باشی، نکند ناگهان بر تو وارد شود و غلبت سازد، (پسر) از این سخت‌بر حذر باش که علاقه شدید مردم دنیا و حمله حریصانه‌شان بآن تو را مغرور سازد چرا که خداوند ترا از وضع دنیا آگاه کرده و دنیا نیز خود از فنا و زوالش تو را خبر داده و بدیهای خود را آشکارا بتو نشان داده است.

(بدان) دنیا پرستان همچون سگانی هستند که بیصبرانه همواره صدا می‌کنند و درندگان که در پی دریدن یکدیگرند، زورمندان ضعیفان را می‌خورند و بزرگ‌ترها کوچک‌ترها را. یا همچون چهار پایانی که گروهی از آنان پاهایشان بسته و گروهی دیگر رها شده‌اند، راههای صحیح را گم کرده و براههای نا معلوم گام گذارده‌اند در وادی پر از آفات رها شده‌اند، در سرزمینی شنزار که حرکت در آن بکندی امکان پذیر است نه چوپانی دارند که آنها را جمع کند و نه کسیکه آنها را به منزل برساند. دنیا آنان را در طریق کوری براه انداخته، و چشم‌هایشان را از دیدن نشانه‌های هدایت بر بسته، در حیرت و سرگردانی دنیا مانده، و در نعمتهای آن غرق گردیده‌اند آنها را مالک و پروردگار خویشان برگزیده‌اند. دنیا آنها را و آنها دنیا را به بازی گرفته و ماورای آنرا فراموش کرده‌اند.

در تلاش برای دنیا اندازه نگه‌دار.

آرام! که بزودی تاریکی برطرف می‌شود (و حقیقت آشکار می‌گردد) گویا مسافران به سر منزل مقصود رسیده‌اند. آن کس که سریع براند به (قافله) ملحق خواهد شد! پسر! بدان آن کس که مرکبش شب و روز است دائما در حرکت است، هر چند خود را ساکن می‌پندارد. و همواره قطع مسافت می‌کند، گرچه ظاهرا متوقف است.

بدان! بطور مسلم هرگز به همه آرزوهایت نخواهی رسید و از اجلت تجاوز نخواهی کرد (بیش از آنچه مقرر شده عمر نخواهی نمود) و تو در راه همان کسانی هستی که پیش از تو می‌زیسته‌اند، بنابراین در طریق بدست آوردن دنیا ملایم باش؟ و در کسب و کار میانه روی را پیشه کن (نه حرص داشته باش و نه طمع) زیرا بسیار شده که تلاش بیحد در راه دنیا منجر بنابودی اموال گردیده‌است؟ چرا که نه هر تلاشگری به روزی رسیده، و نه مدارا کننده محروم می‌شود.

بزرگوارتر از آن باش! که به پستی تن دردهی هر چند تو را به مقصودت برساند، زیرا تو نمی‌توانی در برابر آنچه از آبرو و شخصیت در این راه از دست می‌دهی، بهائی بدست آوری «بنده دیگری مباش چرا که خداوند تو را آزاد آفریده!» آن نیکی که جز با شر و بدی بدست نیاید نیکی نیست و نه آن آسایش و راحتی که با مشقت زیاد.

نکند مرکبهای طمع با سرعت حرکت کنند و تو را به مهلکه بیندازند. اگر توانستی که بین تو و خداوند، صاحب نعمتی واسطه‌ای نباشد انجام ده، زیرا تو قسمت خود را دریافت خواهی کرد، و سهمت را خواهی گرفت، و مقدار کمی که از ناحیه خدا برسد محترمانه‌تر است از مقدار زیادی که از ناحیه یکی از مخلوقانش باشد، هر چند همه نعمتها از ناحیه او است.

سفارشهای گوناگون-تدارک و جبران آنچه بر اثر سکوت از دست داده‌ای آسانتر است، از جبران آنچه در اثر سخنت از دست رفته! چرا که نگهداری آنچه در ظرف هست با محکم بستن دهانه آن امکان‌پذیر است. و نگهداری آنچه در دست داری نزد من محبوبتر است از درخواست چیزی که در دست دیگری است.

تلخی یاس و ناداری بهتر است از درخواست از مردم. ثروت کم همراه با عفت و پاکی و درستکاری بهتر است از ثروت فراوان توام با فجور و گناه.

انسان اسرار خویش را بهتر از هر کس دیگر نگهداری می کند. بسیاریند کسانی که بر زیان خود تلاش می کنند. کسی که بر حرفی کند حرفهای بی معنی زیاد خواهد زد. هر کس اندیشه کند. بینائی خواهد یافت. به نیکوکاران نزدیک شو که از آنان خواهی شد. از اهل شر و بدی دور شو تا از آنها بر کنار باشی. غذای حرام بدترین غذاها است! ستم بر ناتوان بدترین ستم است!.

آن گاه که رفق و مدارا کردن شدت بحساب آید، شدت، رفق و مدارائی خواهد بود. گاه می شود که دارو مایه بیماری، و بیماری داروی نجاتبخش است. آنچه بسا آن کس که اهل اندرز نیست اندرز داده، و آن کس که از او درخواست نصیحت شده خدعه به کار برده است! از تکیه کردن بر آرزوها بر حذر باش، که سرمایه احمقان است. عقل، نگهداری تجربه ها است.

بهترین تجربه های آن است که به تو پند دهد. پیش از آنکه فرصت از دست برود و مایه اندوهت گردد آنرا غنیمت بشمار. چنان نیست که هر کس در جستجو باشد به خواسته اش برسد. و هر غائب و پنهانی باز گردد. از موارد فساد، از بین بردن زاد و توشه و تباه ساختن معاد است. هر کاری سرانجامی دارد، بزودی آنچه برایت مقدر شده بتو خواهد رسید. هر بازرگانی همواره خود را در مخاطره می اندازد (تا نتیجه گیرد). بسیار شده که سرمایه کم، رشدش از سرمایه زیاد بیشتر بوده است! نه در کمک کار پست خیری وجود دارد و نه در دوست متهم، آنگاه که روزگار در اختیار تو است بهره خود را بگیر. هیچگاه نعمتی را به خاطر اینکه بیشتر بدست آوری بخطر مینداز. از سوار شدن بر مرکب سرکش لجاجت بر حذر باش.

وظیفه تو در برابر دوستان.

در برابر برادرت این مطالب را بر خود تحمل کن: به هنگام قطع رابطه از ناحیه او تو پیوند نما، و هنگام قهر و دوریش، لطف و نزدیکی.

در برابر بخلش، و بذل و بخشش. و در زمان دوریش، نزدیکی، به هنگام سخت گیریش
نرمش به هنگام جرمش قبول عذر، آنچنانکه گویا تو بنده او هستی.

و او صاحب نعمت تو است. (اما) بر حذر باش از اینکه آنچه گفته شد در غیر محلش
قرار دهی یا درباره کسی که اهلیت ندارد به انجام رسانی. هرگز دشمن دوست خود را
به دوستی مگیر! که با اینکار با دوستت به دشمنی برخاسته‌ای نصیحت خالصانه خود را
برای برادرت مهیا ساز! خواه نیک باشد یا بد، خشم را فرو خور که من جرعه‌ای
شیرینتر و خوش سرانجام‌تر و لذت‌بخش‌تر از آن ندیدم. با کسیکه با تو به خشونت
رفتار کند نرمی پیش گیر، که بزودی او در برابر تو نرم خواهد شد. با دشمن خود با
فضل و کرم رفتار کن، که در میان یکی از دو پیروزی شیرین‌ترین را بر
گزیده‌ای. اگر خواستی پیوند برادری و رفاقت را ببری جای دستی برایش باقی بگذار
که اگر روزی خواست باز گردد و بار دیگر با تو دوست شود، بتواند. کسی که بتو
گمان نیکی برد (عملت) گمانش را تصدیق کن!

هیچگاه به اعتماد رفاقت و یگانگی که بین تو و برادرت هست حق او را ضایع
مکن! زیرا آنکه حقش را ضایع می‌کنی با تو برادر نخواهد بود.

سعی کن خاندانت بدترین افراد نسبت به تو نباشند. به کسیکه با تو علاقه ندارد علاقمند
مباش! نباید برادرت در قطع پیوند برادری نیرومندتر از تو در برقراری پیوند، و نه در
بدی کردن قویتر از تو در نیکی کردن باشد! ظلم و ستم کسیکه بر تو ستم می‌کند
زیاد بر تو گران نیاید چرا که در حقیقت بزیان خود و سود تو تلاش می‌کند (و
سرانجام بر او پیروز خواهی شد) پاداش کسیکه تو را خوشحال می‌کند این نیست که
باو بدی کنی.

پسرم! بدان که «روزی» بر دو گونه است: یک نوع روزی است که به جستجوی آن بر
می‌خیزی، و روزی دیگری است که بسراغ تو خواهد آمد یعنی اگر تو هم بسویش
نروی بسویت می‌آید، چه زشت است خضوع بهنگام نیاز، و جفا و ستم بهنگام

بی‌نیازی. تنها از دنیا آنمقدار مال تو خواهد بود که با آن سرای آخرت را اصلاح کنی. اگر قرار است برای چیزی که از دست رفته راحت شوی پس برای هر چیزی که بتو نرسیده نیز ناراحت باش! با آنچه در گذشته دیده و شنیده‌ای بر آنچه هنوز نیامده است استدلال کن! چرا که امور شبیه یکدیگرند از کسانی مباش که پند و اندرز به آنها سود نمی‌بخشد مگر آن زمان که سخت در توبیخ او مبالغه کنی، چرا که عاقلان با اندرز و آداب پند می‌پذیرند اما چهارپایان با زدن! هم و غمها را با نیروی صبر و حسن یقین از خود دور ساز!

کسی که میانه‌روی را ترک کند از راه حق منحرف شده، یار و همنشین در حکم خویشاوند است. دوست آن است که در نبود انسان حق دوستی رارعايت کند، هوا و هوس شریک کوری است. چه بسا دور افتادگانی که از خویشاوندان نزدیکترند و خویشاوندانی که از هر کس دورتر می‌باشند!

غریب کسی است که دوست نداشته باشد. کسی که از حق تجاوز کند در تنگنا قرار می‌گیرد. آن کس که به ارزش خود اکتفا کند برایش پاینده‌تر خواهد بود. مطمئن‌ترین وسیله‌ای که می‌توانی بآن چنک بزنی وسیله‌ای است که بین تو و خدایت ایجاد رابطه کند. کسی که بکار تو اهمیت نمیدهد در حقیقت دشمن تو است گاه میشود که نومیدی نوعی وصول بمقصد است! و این در صورتی است که طمع موجب هلاکت شود. چنان نیست که هر عیب پنهانی آشکار شود و همه فرصتها بنتیجه رسد گاه میشود که بینا بخطا میرود، و نابینا بمقصد میرسد و بدی را تاخیر افکن زیرا هر وقت بخواهی می‌توانی انجام دهی! بریدن از جاهل معادل پیوند با عاقل و هوشیار است کسی که از مکر زمان ایمن بماند زمان به او خیانت خواهد کرد، و کسی که آن را بزرگ بشمارد او را خوار خواهد ساخت. چنین نیست که هر تیر اندازی به هدف بزند. آن گاه که حکومت تغییر کند و دگرگون شود زمانه دگرگون خواهد شد، پیش از حرکت به سوی سفر درباره همسفرت جستجو و تحقیق کن، و پیش از گرفتن منزل

درباره همسایه‌ات. از گفتن سخنان بی محتوا بر حذر باش گر چه آن را از دیگری نقل کنی.

از مشاوره با زنان (هوسباز) پرهیز که نظریه آنها ناقص و تصمیمشان ناپایدار است، و از طریق حجاب مشاهده، زنان را بپوشان! زیرا حجاب و پوشش، آنها را سالمتر و پاکتر نگاه خواهد داشت، خارج شدن و بیرون رفتن آنها بدتر از این نیست که افراد غیر مطمئن را در بین آنان راه دهی.

اگر بتوانی که غیر از تو دیگری را نشناسند این کار را بکن.

به زن، بیش از حد خود تحمیل مکن! زیرا زن همچون شاخه گل است نه قهرمان خشن، احترامش را به حدی نگهدار که او را به فکر نیندازد که برای دیگری شفاعت کند. بر حذر باش از اینکه در غیر جائیکه باید غیرت به خرج داد اظهار غیرت کنی، (که نشانه سوء ظن تو سبب به او باشد) زیرا اظهار بی اعتمادی و سوء ظن، زنان را به ناپاکی، و بیگناهان را به آلودگی سوق می‌دهد.

برای هر کدام از خدمت گزارانت کاری معین ساز که او را در قبال آن مسئول بدانی، چرا که این سبب می‌شود کارها را به یکدیگر وانگذارند، و در خدمت سستی نکنند. قبيله و عشیره‌ات را گرامی دار، زیرا آنها پر و بال تواند که بوسیله آنها پرواز می‌کنی و اصل و ریشه تواند که به آنها باز می‌گردد، و دست و نیروی تواند که با آن به دشمن حمله می‌کنی.

نیایش:

دین و دنیایت را نزد خداوند بامانت گذار، و از او بهترین مقدرات را هم‌اکنون و در آینده، در دنیا و آخرت مسئلت نما! والسلام

توضیحات

[۱] این «وصیت»، از وصایای مشهور امیر مؤمنان است، عده‌ای از بزرگان علماء که پیش از «شریف رضی» می‌زیسته‌اند آنرا نقل کرده‌اند از جمله:

۱- محمد ابن یعقوب کلینی در کتاب الرسائل.

۲- ابو احمد حسن ابن عبد الله ابن سعید عسکری از اساتید مرحوم صدوق در کتاب «الزواجر و المواعظ»

۳- احمد بن عبد ربه مالکی در کتاب «عقد الفرید» قسمتی از آنرا در دومورد تحت دو عنوان در باب مواعظ الالباء للابناء آورده:

الف- در جزء سوم صفحه ۱۵۵ تحت عنوان «و کتب علی بن ابیطالب الی ولده الحسن» ب- در ص ۱۵۶ تحت عنوان «و کتب الی ولده محمد ابن حنفیه»

۴- شیخ صدوق قسمتی از آن را در دو مورد «من لا یحضره الفقیه» آورده:

در جزء سوم صفحه ۳۶۲ و در جزء چهارم ص ۲۷۵.

۵- ابن شعبه حرانی در کتاب تحف العقول ص ۵۲.

در اسناد این وصیت مرحوم سید ابن طاووس در کتاب کشف المحجبه لثمره المهجه بتفصیل از آن بحث کرده است.

(مصادر نهج البلاغه ج ۳ ص ۳۰۷-۳۱۲)

[۲] تقسیم بندی این نامه:

۱- قسمت اول این وصیت، امام، بعنوان نمونه‌ای از میان جمیع پدرها، و فرزندش حسن را بعنوان نمونه‌ای از همه فرزندان معرفی می‌کند و شاهد آن یکی از قسمت‌های نامه است که به امام حسن می‌گوید من این وصایا را برای تو نوشتم چرا که سرزمین قلب جوان آماده است آنچه بذر در آن ریخته شود پرورش می‌دهد و بالاخره حالات یک پدر را شرح می‌دهد (من الوالد الفان- و خلیفه الاموات).

۲- سپس از تجربیاتی که آموخته و برایش بصورت جدی و عینی در آمده سخن می‌گوید و چون فرزندش را همه وجود خود می‌داند تصمیم بر نصیحت او می‌گیرد (اما بعد- بقیت لک او فنیت)

۳-توصیه و سفارش بتقوا و آبادانی دل با یاد خدا و آنگاه درس خودسازی و توجه بحال گذشتگان و عبرت گرفتن از آنان، نصیحت و اندرز و کارهایی را که باید در راه خود سازی انجام دهد و آنچه باید از آن دوری کند(فانی اوصیک-لا یحق تعلمه)

۴-می گوید:پیش از آنکه نقصی از نظر جنبه های فکری برایم پیدا شود سعی کردم دستورات لازم و آگاهی های مورد نیاز را بتو بدهم(لما رایتنی قدبلغت سنا-ربما اظلم علینا منه)

۵-در این قسمت یاد آور می شود که اگر چه باندازه همه جهانیان عمرنکرده ولی فکر و مطالعه در آثار آنها وی را از جریانات زندگی آنان آگاه کرده و خلاصه سر گذشت آنان و پیشرفت و شکستشان را در اختیار فرزندش قرار میدهد(ای بنی انی و ان لم اکن عمرت-فعهدت الیک وصیتی هذه)

۶-در این بخش می گوید:بهترین چیزی که از وصایای من باید مورد توجه تو باشد وصیت به تقوا است و دیگر اینکه در راهی قدم گذاری که سلف صالح توقدم گذاردند چرا که آنها با دلیل در آن راه رفته اند و اگر خواستی خود آن طریق را با دلیل بدانی خویشان را در شبهات میفکن و با فکر و توجه قدم بردار و در آغاز مطالعه، از خدایت کمک بگیر(و اعلم یا بنی ان احب ما انت-و الامساک عن ذلک امثل)

۷-در این قسمت او را بطریق مطالعه توجیه می کند که کارها همه بدست خدا است و جهان در طریقی مخصوص در حرکت است و پاداش در معاد خواهد بود. در طی مطالعه اگر علت چیزی برایت مبهم بود آن را بر جهل و ناآگاهی خود حمل کن چرا که تو در آغاز جاهل بوده ای سپس آگاه شده ای و چه بسیار از مسائلی که در آغاز برایت مجهول بوده اما بعدا واقعیت آنرا فهمیده ای و بالاخره توجه می دهد که طریق همان است که رسول خدا صلی الله علیه و آله و سلم گفته (فتفهم یا بنی وصیتی-مبلغ نظری لک)

۸-بیکتائی خداوند و دلیل آن و وظیفه ای که در این راه دارد اشاره میکند(و اعلم یا بنی انه لو کان لربک شریک-الا عن قبیح).

۹-وضع دنیا را در ضمن دو مثال برایش مجسم می کند:یک مثال در مورد کسانی که با چشم بصیرت به دنیا مینگرند و مثال دیگر در مورد افرادی که مغرور به آن شده اند.(یا بنی انی قد انباتک عن الدنیا-و یصیرون الیه).

۱۰- طریق بهتر زیستن و حسن عاقبت را در روابط با جامعه چنین توصیه می‌کند که خویشان را میزان قرار دهد.

از آنچه خرسند می‌شود درباره دیگران انجام دهد و هر بد که نمی‌پسندد با کس نکند (یا بنی اجعل نفسک میزاناً- ما لا تحب ان یقال لک).

۱۱- در این بخش از عجب و خود پسندی نکوهش نموده و آنرا آفتی برای اندیشه می‌داند و کمال خشوع برای پروردگار را باو توصیه می‌کند (و اعلم ان الاعجاب- فکن اخشع ما تکون لربک).

۱۲- در این بند امام (ع) به راه دور و دراز و پر مشقت و رنج آخرت، اشاره می‌کند و بیان میدارد فرزندی فوق طاقت و توانایی... بارت را سنگین مکن که سنگینش و بالی برایت هست و باید تا آنجا که می‌تواند زاد و توشه بگیرد و با افرادی که تحمل حمل این بار را دارند برسد تا بتواند زندگی پر سعادتی داشته باشد، و نیز توجه می‌دهد که در آنجا باید بار انسان از گناه سنگین نباشد:

(و اعلم ان امامک- و لا الی الدنیا منصرف)

۱۲- در این قسمت بمقام بلند انسان پرداخته که در ارتباط با خدا نیاز بهیچ وسیله‌ای ندارد و بکمال لطف خداوند بانسان اشاره کرده که خداوند با او هرگز بستیزه نمی‌پردازد بلکه باب توبه برایش گشوده و حسناتش را ده برابر گردانیده و اگرگاهی دعا و خواسته‌هایش اجابت نمیشود روی حساب است.

(و اعلم ان الذی بیده خزائن السموات- و لا تبقی له)

۱۳- در این قسمت بجریان واقعی آفرینش انسان اشاره کرده که هدف‌سرای دیگری است نه این دنیا و رها ساختن این جهان است نه بقای در آن و بالاخره از مرگ فراری نیست.

(و اعلم یا بنی انک انما خلقت للاخرة- قد اهلکت نفسک)

۱۴- در این بخش همواره بیاد مرگ بودن را باو توصیه میکند و وضع مردم دنیا با یکدیگر که همچون درندگان بجان هم افتاده‌اند برایش مجسم می‌سازد و او را از این طریق بر حذر میدارد (یا بنی اکثر ذکر الموت- و نسوا ما ورائها)

۱۵- امام یادآور میشود که انسان از این جهان باید برود زیرا مرکب سواری او شب و روز است که همواره او را می‌برند چه بخواد و چه نخواهد، تذکر میدهد که انسان بتمام آرزوهایش نخواهد

رسید پس در تلاش برای دنیا در برابر از دست دادن شرفهای انسانی و آزادیها، باید سرعت نگیرد که خدا انسان را آزاد آفریده نباید برده چیز دیگری شود و بالاخره انسان را از طمع باز می‌دارد. (رویدا یسفر الظلام- و ان کان کل منه)

۱۶- در این قسمت با ضرب المثلهای و جملات کوتاه به هدایت او پرداخته (و تلافیک ما فرط- مطیة اللجاج)

۱۷- در این بخش آئین دوستی و رفاقت را یاد آور شده است.

(احمل نفسک من اخیک- من سرک ان تسؤه) ۱۸- یک سلسله نصایح و اندرزها در جملات کوتاه مخصوصا درباره معاشرت آمده است (و اعلم یا بنی ان الرزق- و ان حکیت ذلک عن غیرک).

۱۹- یک سلسله دستورات مربوط بزنها و امور خانوادگی و چگونگی رفتار با همسر و توجه به بستگان و خویشاوندان و اقوام میدهد (ایاک و مشاوره النساء- و یدک اللتی بها تصول).

۲۰- دعا و طلب خیر برای فرزندش. (استودع الله- و السلام)